الفصل الرابع عشر

السينما التسجيلية والطفولة

الفصل الرابع عشر

السينما التسجيلية والطفولة

سينما تسجيلية للأطفال :

إن العناية بتربية الطفل وتثقيفه تعنى الوعى بأن كل طفل يشب سوياً فى بلد ما فإنه أى البلد يشب هو الآخر ويكبر فى كل النواحى ومختلف الفروع ومن ثم فإن الاهتمام بالطفولة هو بالضرورة اهتمام بالمستقبل ونوع من التخطيط له .

والسينما التسجيلية أحد فروع السينما التي هي إحدى إنجازات التقدم الحضارى حين تكون من اجل الطفل فإنها تكون علامة مهمة وسمة واضحة لمجتمع حضارى .

إن الطفل يولد فى منتهى الحساسية الشديدة للفن فلو أعطيت لطفل صغير ورقة وقلماً سيجلس ويرسم ولكن عندما يصل الطفل لسن السادسة فحساسيته هذه تتجمد وتتبلد فعلى الفيلم التسجيلي أن يوجه ويعلم الطفل .

وأننا لكي نتحدث عن السينما التسجيلية والطفل تبدو أمامنا عدة أمور لا بد من الإشارة إليها فى إيجاز :

أولاً : أن الأطفال يمثلون جزءا مهما من المجتمع ، وأن تلقى ذات العناية التي تلقاها احتياجات الكبار .

ثانياً : أن السينما التي تعتمد على الصورة المتحركة والصوت معا تنطوى على إمكانيات ضخمة لتشويق الطفل وأثارة إعجابه .

ثالثاً : أن انتشار التلفزيون واقتحامه للجدران واتصاله بأفراد الأسرة فى البيوت أتاح للأطفال مشاهدة حصيلة كبيرة من البرامج أغلبها ليست موجهة إليهم . وأن مشاهدة الأطفال لأفلام وبرامج الكبار تدفع بهم إلي حالة من النضج المبكر سابق للأوان من صفاتها الملحوظة الحيرة وعدم الثقة بالكبار .

رابعاً : إن غياب إنتاج سينمائى عربى للأطفال يمثل قصورا شديدا فى هذا المجال ويجب تداركه بأسرع ما يمكن .

ومن كل هذه المسلمات تصل إلي ضرورة البدء فى تخصيص جزء من ميزانيات الإنتاج فى مؤسسات وزارات الثقافة والإعلام العربية وفى محطات التليفزيون العربية لإنتاج أفلام للأطفال بمختلف نوعياتها وبالأخص الأفلام التسجيلية التي لا يختلف أحد أهميتها بالنسبة للطفل . فإننا إذا قلنا باهتمام الطفل بالسينما فإن ذلك الاهتمام ليس من أجل الترفيه عنه وتسليته فحسب وإنما أيضا من أجل أنها تشبه من عنده بعض الحاجات الضرورية وأهمها الحاجة إلي التعرف والاستطلاع والحاجة إلي التآلف والتكيف الاجتماعي والحاجة إلي التقليد للتعبير عن الذات . ويعد الفيلم التسجيلي من أحسن السبل لإشباع هذه الحاجات عند الطفل . فإن الأفلام التسجيلية التي تصلح للأطفال هي أفلام تعليمية وأفلام تتناول أخبار وأعمال ونشاطات الأطفال فى كل أنحاء العالم .. وهذه الأفلام لها قدرة كبيرة على مد البصر الأطفال خارج أسوار الواقع وعلى توسيع آفاقهم بلا حدود سواء داخل الوطن سواء على اتساع العالم كله (١) .

ومن النتائج المهمة لهذا أن الطفل يصبح فى إمكانه عن طريق الفيلم التسجيلي أن ينتقل من مكان إلي آخر نفسانيا . أى يصبح فى إمكانه أن يتخيل نفسه فى ظروف جديدة وأماكن جديدة . فبدلا من أن الطفل ماديا من مكان دور السينما أو فى التليفزيون أو فى عروض خاصة بالمدارس أو النوادى تستطيع أن تنقل إليه جميع هذه المناطق .

وهي بذلك إنما تنقل الطفل الذي يغادر مكان مولده أبدا انتقالا نفسانيا إلي العالم الخارجى ومن ثم فهي تنشط خياله وتثير طموحاته .

هذا بالإضافة إلي وظيفة التسجيل التاريخي التي يحققها الفيلم التسجيلي والتي من خلالها يمكن لأطفال الغد أن يشاهدوا أحداث الأمس ويستفيدوا بمعطياتها وبخبراتها ، كما لو كانوا قد عاصروها ، فضلاً عن أن التسجيل يفيد كثيرا فى الربط بين الأجيال وفى نقل التراث وفى الوصل بين الماضى والحاضر مما يساعد فى عملية التطبع والتنشئة الاجتماعية

وللفيلم التسجيلي أيضا إمكانات هائلة فى المجالات التعليمية للأطفال ، فهو كوسيط سينمائى يكتسب كافة الإمكانات الحرفية لفن السينما وأهمها تجاوز حدود الزمان والمكان وتجاوز حدود الطاقة البشرية ، وكلها إمكانات ذات فاعلية كبيرة فى عملية التعليم.

وقد أدركت أكثر دول العالم المتقدمة هذه الحقائق فكان اهتمامها المبكر بإنتاج أفلام خاصة للأطفال ومن الدول : بريطانيا والدنمارك وتشيكوسلوفاكيا وفنلندا وروسيا وألمانيا والنرويج وإيطاليا . ولقد أصبح من الضرورى ألا نتخلف عن الركب وأن نبدأ بالاهتمام بسينما الأطفال إنتاجا وعرضا .

وهنا يبرز دور التليفزيون كوسيلة مهمة تمتلك إمكانتى الإنتاج والعرض معا . فالتليفزيون كما نعرف جميعا منتج على نطاق كبير ، وهو أيضا عارض وعلى نطاق واسع . فيصل عدد مشاهديه فى العرض الواحد إلي الملايين بما فيهم الأطفال الذين يشكلون الجمهور الأكبر .

وتشير معظم الدراسات إلي أن علاقة الطفل بالتليفزيون تبدأ فى سن مبكرة فإن وجود التليفزيون داخل المنزل يعجل بقيام هذه العلاقة ويعمل على توطيد أو أصرها (٢) .

وقد أصبح التليفزيون من أكثر وسائل الإعلام انتشارا بين الأطفال وهذا يؤهل التليفزيون لأن يكون الموجه التربوى للأطفال عندما يستخدم إمكانات باتجاه إيجابى.

وللتليفزيون المصري اهتمام كبير بالأطفال من خلال برامج قنواته المتعددة . وله تجارب فى مجال البرامج التسجيلية للطفل نذكر منها : برنامج السندباد الصغير الذي قدم للأطفال مختلف محافظات مصر من خلال كاميرا ومجموعة مختارة من الأطفال يقومون بزيارة المحافظة وقد استمر البرنامج لعدة سنوات ، وبرنامج موسوعة الطفل وهو محاولة لتقديم موسوعة مرئية للطفل.

وبرنامج نشرة الأخبار وهو محاولة لتقديم جريدة سينمائية للأطفال تضم لقطات متنوعة من أخبار الطفل فى مصر والعالم وأنشطتهم واهتماماتهم والبرنامج تقدمه باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية مجموعة من الأطفال .

إن صانع الفيلم شخص كبير له عالمه وله خبراته وله صوره الذهنية التي تشكل حصيلة خبراته ومعتقداته ومزاجه النفسى .

وفى الوقت نفسه فإن الطفل المستهدف من الفيلم له أيضا عالمه الخاص وتفكيره الخاص وتفكيره الخاص وطريقه الخاص فى تناول الأمور وكلها تختلف تماما عن عالم الكبار (٣) .

ومن ثم فإنه ما لم يحاول صانع فيلم الطفل أن يتفهم عالم الصغار ، لما تسنى له النجاح فى تقديم أفلام تشد انتباه الطفل وتحقق أثرها المنشود .

وأن تحقيق هذا يقتضى توفر بعض الأمور منها :

أولا : الاطلاع المستمر على الدراسات والبحوث النفسية والاستبيانات الخاصة بالأطفال.

ثانيا : التعامل المباشر مع الطفل والاتصال معه وجها لوجه ومحاولة ملاحظة تصرفاته التلقائية وردود أفعاله فى المواقف المختلفة .

ثالثا : القناعة بأن الطفولة صفحة بيضاء تحتاج إلي خبرات واعية مدربة ومؤهلة تأهيلا علميا ، لكي تسطر على هذه الصفحات البيضاء المبادئ الأولية التي تصنع الضمير وتقود الطفل إلي طريق الصدق والأخلاق والسلوك السوى إلي جوار كل هذا يجب أن يكون لدى من يتصدى للعمل فى أفلام الأطفال أو فى أى عمل موجه للطفل تلك الخاصية التي يسميها علماء الاتصال بالتقمص الوجدانى ويسميها علماء الاجتماع بالبصيرة الوجدانية وهي قدرة الفرد على تصور أو تخيل نفسه فى مواقف الآخرين .

وينبغي أن نتذكر أن كل ما يزرع فى الطفولة من بذور لابد وأن تجنى ثماره فيما بعد . وقد يكون ما يقطف وردا وأزهارا وقد يكون هشيما وأشواكا .

ولنضع أمام أعيننا أن كل فيلم يصنع للطفل ليس إلا شمعة . والشمعة قد تضئ .. ولكنها أيضا قد تحرق (٤) .

مراجـع الفصـــل الثالث عشـــر

(١) محمود سامى عطا الله , الفيلم التسجيلي , القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩٥ , ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق , ص٩٥ .

(٣) نفس المرجع السابق , ص٩٦ .

(٤) نفس المرجع السابق , ص٩٧ .